د. حاتم الهمدان



ذو القرنين

النبي المصري الذي طاف بالعالم وعلّم الناس الدين والحضارة



الفصل الثاني

من هم يأجوج ومأجوج؟

من هم يأجوج ومأجوج؟ يثور هذا السؤال في أذهاننا بمجرد قرآءة قصة ذي القرنين؟ ياتُرى هل هم بشر مثلنا؟ أم هم مخلوقات غير بشرية؟ ثم ياتُرى أين هم الآن؟ هل هم محبوسون في مكان ما من الأرض؟ وإن كان هذا صحيحا فلماذا لم نعثر عليهم ولم تعثر عليهم الأقمار الصناعية؟ أم هم مسجونون تحت الأرض؟ أم يكونون على أحد الكواكب البعيدة في السماء؟ في هذا الفصل نناقش قضية تحديد من هم يأجوج ومأجوج وتحديد مكانهم.

المبحث الأول: الترك والمغول في التاريخ

يتفق دارسو التاريخ على أن أكثر الأجناس حبا للقتال والحروب والغزو هم الترك والمغول، وهم سكان سهوب وسط آسيا، ويتفق الدارسون على أن جيران الترك والمغول كانوا دائما يعانون الأمرَّين من غزواتهم وعنفهم الذي يفوق التصور، ورغم أن اعتدائهم على جيرانهم كان مستمرا معظم الوقت، إلا أن التاريخ سجل لنا عدة غزوات ضخمة، تحالفت فيها القبائل المغولية والقبائل التركية المختلفة، وهاجمت الشعوب المجاورة، البعيدة بجحافل جرارة.

فالمصادر الصينية تحدثنا عن قبائل الـ (هسيونجنو) (Xiongnu) التي هاجمت شمال الصين في القرن الثاني قبل

الميلاد، واضطرت الأسرة الحاكمة في هذا الوقت -وهي أسرة (كين)- أن تبدأ بناء سور الصين العظيم لحماية البلاد من هجماتهم المدمرة، والدارسون يرجحون أن (الهسيونجنو) كانوا من التُرك[209].

أما (الهُن) (Hun) فلقد كانوا مجموعات من القبائل التي كانت تسكن وسط آسيا من الترك والمغول وغيرهم، ولقد تحالفت هذه القبائل المحبة للقتال وكونت جيوشا عظيمة، وهاجموا أوروبا بشراسة في القرون الأولى للميلاد، وصاحب هذه الهجمات نزوح لقبائل من منطقة وسط آسيا، وتوطنها في شرق أوروبا، ولقد انهارت امبراطورية (الهن) عقب موت قائدهم (أتيلا) عام 453 ميلادية[210].

أما أعظم وأشهر غزوات الترك والمغول فهو غزوهم للعالم بعد توحد قبائلهم تحت قيادة جنكيز خان وخلفائه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حين كونوا أكبر إمبراطورية متصلة الأراضي في التاريخ، حيث سيطرت هذه الإمبراطورية على 22% من مساحة اليابس في العالم، وقد كان هجومهم على الشعوب وحشيا همجيا، وكانوا مسرفين في القتل لايرحمون شيخا ولا امرأة ولا طفلا، وقد اجتاحوا بغداد عام 1258 ميلادية، وقتلوا فيها ما يقرب من مليونين من سكانها، وأسقطوا الخلافة العباسية، وجعلوا كل من رآهم أوسمع عنهم يظنهم يأجوج ومأجوج.

---

209 - http://en.wikipedia.org/wiki/Xiongnu

210 - http://en.wikipedia.org/wiki/Huns



الشكل رقم (211) رسم لفارس مغولي على حصانه.

وبالإضافة إلى ذلك فإننا إذا استعرضنا تاريخ السدود التي أقامتها الملوك لحماية حدودها ولصد أعدائهم عبر التاريخ، فإننا سنفاجأ أن معظمها تم بناؤها لصد هجمات الترك أو المغول، فالصينييون بَنوا سور الصين العظيم لصد هجماتهم، والإيرانيون أقاموا في (دربند) جدارا يمتد من الجبال إلى ساحل البحر لمنع القبائل التركية من الدخول، والإيرانيون أيضا بنوا في (جورجان Gorgan) سدا آخرا بين الساحل والجبال، لمنع نفس القبائل من الدخول إلى المناطق الإيرانية، حتى ممر (دربال) الذي يوجد في وسط سلسلة جبال القوقاز الكبرى فلقد وجد به آثار تحصينات، وكل هذه الجدران والتحصينات قد بنيت لرد المهاجمين من منطقة سهوب وسط آسيا، والتي كان يسيطر عليها القبائل التركية والمغولية.



الشكل رقم (212) خريطة توضح موضع سور الصين العظيم، وسد (جورجان)، وجدار (دربند)، وكلها أقيمت لحماية الأراضي من الترك والمغول.

المبحث الثاني: يأجوج ومأجوج في الروايات، وفي آراء العلماء

هناك حديث رواه أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خطب رسول الله وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب فقال: إنكم تقولون لاعدو، وإنكم لاتزالون تقاتلون حتى يأتي **يأجوج ومأجوج** عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشعاف، ومن كل حدب ينسلون، كأن وجوههم **المجان المُطرَّقة**"[211].

[211]- برنامج المحدث مجمع الزوائد 12570.



الشكل رقم (213) صورة لبعض أفراد جيش دولة منغوليا الحالية توضح الملامح المغولية.

وهذه الصفات التي في الحديث تصف يأجوج ومأجوج هي ملامح الجنس المغولي، كما أنها جاءت في أحاديث أخرى تصف الترك، فلقد روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون **الترك،** قوما وجوههم **كالمجان المطرقة،** يلبسون الشعر، ويمشون فيه**"**[212].

بل إنه جاءت رواية مرفوعة إلى النبي تخبر أن يأجوج ومأجوج والترك من أبناء يافث بن نوح؛ فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"**وُلد لنوح سام وحام ويافث، فوُلد لسام العرب وفارس والروم، ووُلد لحام القبط والبربر والسودان، **ووُلد**

---

[212] - صحيح مسلم.

ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالية"[213]، وفي سنده ضعف كما أخبر العسقلاني في كتابه فتح الباري.



الشكل رقم (214) صورة تظهر بعض أفراد من جيش دولة (كازاخستان) ، توضح ملامح الترك.

كما جاءت آراء السلف تؤكد وجود علاقة ما بين يأجوج ومأجوج من جهة والترك من جهة أخرى؛ فلقد أخرج أبن مردويه من طريق السديّ قال: "التُرك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت تُغير فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجاً". كما أخرج الحاكم من رواية سعيد بن بشير عن قتادة قال: "يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وكانت منهم قبيلة غائبه في الغزو وهم الأتراك فبقوا دون السد"،

---

[213]- فتح الباري ابن حجر العسقلاني.

وعن الضحاك قال: "الترك شرذمه من يأجوج ومأجوج خرجت تُغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب"[214].

ويبدو أن هذه الآراء التي تربط بين يأجوج ومأجوج من جهة والترك من جهة أخرى تأثرت بما جاء في التوراة، فلقد ذكر كاتب سفر التكوين أن ماجوج هو ابن ليافث ابن نوح: "وَهذِهِ مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَالطُّوفَانِ. بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَاي وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشِكُ وَتِيرَاسُ."[215].

ولقد تعجّب العلماء من وحشية هجوم التتار عل العالم الإسلامي حتى أننا نجد القرطبي يربط بين المغول والترك (التتار) من جهة، وبين يأجوج ومأجوج من جهة أخرى، فيقول: "وقد خرج منهم [أي الترك] في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله تعالى، حتى كأنهم يأجوج ومأجوج، أو مقدمتهم."[216].

وفي العصر الحديث وجدنا بعض العلماء يذهبون إلى أن يأجوج ومأجوج هم الترك والمغول، يقول الشيخ المراغي في تفسيره: "يأجوج هم التتر، ومأجوج هم المغول، وأصلهما من أب واحد يسمى ترك."، ويقول أبو الأعلى المودودي: "الأقرب إلى الصواب أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين المعروفة باسم التتار والمغول والهن والسيث، وغير ذلك فقد كانت هذه القبائل تغير على الدول المتحضرة في قديم الزمان"، وفي التفسير الوسيط للقرآن الكريم الذي أصدره مجمع البحوث الإسلامية في مصر: "إن يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول".

ويبدو أن هذا الفريق من العلماء نظروا إلى ما نظرنا إليه من تطابق صفات الترك والمغول مع يأجوج ومأجوج، وكذلك صعوبة العثور على أمتين كبيرتين محبوستين وراء سد من

---

[214] - تفسير القرطبي الجزء 11 ص 58.

[215] - سفر التكوين 1،2.

[216] - تفسير القرطبي الجزء 11 ص 58.

السدود، ورغم ذلك فإننا لانجدهم يناقشون أدلة جمهور العلماء القائلين أن يأجوج ومأجوج محبوسين الآن وراء السد.

المبحث الثالث: يأجوج ومأجوج في خرائط علماء الجغرافيا المسلمين القدماء

ونحن إذا راجعنا خرائط علماء حضارتنا الإسلامية الباهرة مثل خريطة العالم لابن حوقل، وخريطة العالم للإدريسي، وخريطة العالم للقزويني، وللمستوفي، فسوف نجد أنهم قد أثبتوا في خرائطهم منطقة من الأرض جعلوها بلاد يأجوج ومأجوج، ونحن نجد أنهم جعلوا هذه البلاد تقع في أقصى شمال شرق آسيا وشمال الصين، ويبدو أنهم كانوا يقصدون المنطقة التي يعيش فيها المغول، والتي تشغلها اليوم دولة منغوليا.



الشكل رقم (215) على اليمين خريطة العالم للإدريسي تضع منطقة يأجوج ومأجوج في أقصى شمال شرق العالم، في شمال بلاد الصين (داخل المربع)، وعلى اليسار: صورة مكبرة توضح منطقة يأجوج ومأجوج في خريطة الإدريسي وتظهر سلسلة جبال متصلة تبدأ من الساحل وتنتهي عند الساحل، وتعزل يأجوج ومأجوج عن بقية بلاد العالم.

المبحث الرابع: كلمة (جوج)، ودولة (جوك- ترك)

يطلق سفر أشعياء على يأجوج ومأجوج اسم "جوج وماجوج" باستخدام الجيم القاهرية، وأرى أن العلاقة بين الكلمات هي المقطع (جوج) بالجيم القاهرية، وأرى أننا لو استطعنا أن نعلم لأي لغة ينتمي هذا المقطع، لاستطعنا استنتاج من هم يأجوج ومأجوج.

لقد تكونت في القرن السادس بعد الميلاد دولة عظيمة الشأن في منطقة وسط آسيا من تحالف القبائل التركية، واستمرت هذه الامبراطورية من 552 إلى 747 ميلادية، وكانت تسمى (جوك ترك Gok-Turk)، أو(كوك –ترك Kok-Turk)، والمقطع (جوك) يشبه المقطع (جوج) الذي نجده في اسم يأجوج ومأجوج، كما أننا نجد أن كلمة (جوك) تنطق أيضا (كوك)، وهذا يعني أن حرف الجيم القاهرية في أول كلمة (جوك) تحوّل إلى حرف الكاف لتقاربهما في المخرج.

والسؤال الآن: هل كان هذا نفس الحال مع الكاف التي في آخر الكلمة؟ بمعنى أن يكون أصلها جيما قاهرية، وبالتالي يكون أصل كلمة جوك هو جوج؟ ربما، وفي هذه الحالة يكون هذا المقطع مطابق للمقطع جوج مِحور اسم يأجوج ومأجوج.

وكلمة (جوك) تعني في اللغة التركية: الأزرق، أو السماوي، أو الشرق، حيث اعتبر قدماء الترك اللون الأزرق هو رمز المشرق.

وقد تسمى أحد ملوك (الهن) القدماء باسم (كوك خان) Kok Khan وحكم في الفترة 174-161 قبل الميلاد، ومعنى اسمه ملك كوك، أوملك جوج، وهذا يدل على أن اسم جوج قديم وأن هذا الاسم كان يطلق على القبائل التركية أو بعضها.

ولقد استمرت التسمية بهذا الاسم بعد ذلك فنجد أحد ملوك مملكة (جوك ترك) تسمى بهذا الاسم، كما أن قائد قلعة مدينة بُخارى وقت هجوم المغول عليها في القرن الثالث عشر الميلادي، كان هذا اسمه: (كوك خان)، ويقال أنه كان مغوليا.

كما أننا نجد أن كلمة (جوك) مازالت شائعة في الأسماء التركية، وفي أسماء المدن التركية، في عصرنا.

إن المقطع (ما) في اللغة التركية الحالية يعني: العظيم، فهل (ماجوج) تعني في أصلها الأزرق العظيم، وهي تسمية أطلقها القدماء على البحر، فهل كلمة ماجوج تعني البحر؟

وهل في تعريب القرآن للكلمة على (مأجوج) التي قيل عنها أنها من ماج يموج، إشارة لهذا الأصل؟

وهل في قوله تعالى: "وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض" إشارة إلى معنى كلمة (ماجوج) في لغتها الأصلية، وذلك حسب المنهج الذي اكتشفه أبو سعدة؟ ربما.

على كل حال، فإن كلمتي يأجوج ومأجوج ربما تكونان كلمتين تركيتين، أو تنتميان لتلك اللغة التي كان يتكلم بها أسلاف الترك والمغول منذ آلاف السنين.

وهكذا يمكننا القول أن يأجوج ومأجوج الذين بنى ذو القرنين السد ليحمي القوم منهم، هم على الأرجح أسلاف الترك والمغول، فالتاريخ يؤكد أن الترك والمغول هم أكثر الشعوب التي أفسدت في الأرض فأهلكت الحرث والنسل، كما أن الرواية عن النبي الكريم تصفهم بما وُصِف به الترك من ملامح الوجه، والعلماء كادوا يقولون أن الترك والمغول - وخصوصا أثناء الغزو المغولي- هم يأجوج ومأجوج، ولم يمنعهم من ذلك إلا أنهم كانوا يعتقدون أن يأجوج ومأجوج محبوسون وراء سدهم في مكان ما من الأرضين التي كانت مجهولة في هذا الوقت، وهو الأمر الذي اتضح بطلانه.

ولقد عثرتُ على أدلة لغوية على أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، فكلمة جوج كلمة تركية، مازالت تستخدم حتى يومنا هذا، كما أن الإمبراطورية التركية التي كانت قائمة في عصر الرسالة ونزول القرآن كانت تطلق على نفسها جوج ترك.

الفصل الثالث

مفاهيم حول يأجوج ومأجوج ومناقشتها

لقد شاعت مفاهيم حول يأجوج ومأجوج، بعضها قديم وبعضها حديث، وبعض هذه المفاهيم قبله العلماء وبعضها رفضوه.

ويمكننا تلخيص هذه المفاهيم في الآتي: أن يأجوج ومأجوج لهم أشكال وأحجام خرافية، وأن أعدادهم عظيمة جدا تبلغ ألف ضعف لسكان العالم من البشر، وأنهم محبوسون الآن وراء السد، كما ظهرت في عصرنا بعض المفاهيم منها أن يأجوج ومأجوج هم الروس أو اليهود أو الصينيون، وسوف نناقش هذه المفاهيم في الصفحات القادمة إن شاء الله.

المبحث الأول: مفهوم أن ليأجوج ومأجوج أحجاما وأشكالا عجيبة

يقول وهب بن منبه في رواية ذي القرنين الطويلة في وصف يأجوج ومأجوج: "فإذا هم على مقدار واحد... أنثاهم وذكرهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا، ولهم أنياب وأضراس كأضراس السباع وأنيابها، وأحناك كأحناك الإبل قوة، يسمع له حركة إذا أكل كحركة الجرة من الإبل، أو كقضم الفحل المسن أو الفرس

القوي، وهم هُلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها تسعانه إذا لبسهما، يلبس إحداهما ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت وتهيأ له، وهم يرزقون التنين في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل، فيعينهم على كثرتهم وما هم فيه، فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسهئوا، ورؤي أثره عليهم، فدرت عليهم الإناث، وشبقت منهم الذكور، وإذا أخطأهم هزلوا، وأحدثوا، وجفلت منهم الذكور، وأحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحَمام، ويعوُون عوي الذئاب، ويتسافدون حيثما التقوا تسافد البهائم"[217].

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم، عن كعب قال: "خلق يأجوج ومأجوج ثلاث أصناف، صنف أجسامهم كالأَرْز، وصنف أربعة أذرع طول وأربعة أذرع عرض، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى يأكلون مشائم نسائهم."[218].

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار، عن حذيفة قال: "سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة

---

217 - المكتبة الإسلامية تفسير الطبري سورة الكهف

http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=3140&idto=3140&bk_no=50&ID=3159

218 - السيوطي تفسير الدر المنثور

http://sh.rewayat2.com/tafasir/Web/12884/008.htm

بأربعمائة أمة... لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كل قد حمل السلاح. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز. قلت: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية"[219].



الشكل رقم (216) فرد من قبيلة ذات آذان طويلة كما حكى اليونانيون القدماء والصورة من حوليات (نورمبرج) (1493).

219 - السيوطي تفسير الدر المنثور
http://sh.rewayat2.com/tafasir/Web/12884/008.htm

ولكن علماء المسلمين **رفضوا** هذا المفهوم تماما، فقال عنه ابن كثير: "وقد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلا، عجيبا في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له وفيه طول، وغرابة، ونكارة، في أشكالهم، وصفاتهم وطولهم، وقصر بعضهم، وآذانهم، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدها، والله أعلم."[220].

فلقد اعتمد علماؤنا على حديث "بعث النار" الصحيح، والذي يُفهم منه **بوضوح** أن يأجوج ومأجوج من بني آدم عليه السلام، وكذلك اعتمدوا على ظاهر القرآن في رفض هذا المفهوم.

وأرى أن منشأ هذه الصور الخرافية حول أشكال وأحجام يأجوج ومأجوج، هو ترويع يأجوج ومأجوج لجيرانهم في الزمن القديم، فلقد جعلت وحشيتهم القُصَّاص وواضعي الأساطير في الأمم المختلفة يبالغون في أشكالهم وأحجامهم، وحدث أن وصلت البيئة الإسلامية بعضا من هذه الخرافات.

إن خُلُو القرآن من أي وصف خرافي ليأجوج ومأجوج لهو من أكبر الأدلة على إلهية مصدر القرآن، لأنه لو كان ابن بيئته كما يزعم بعض المستشرقين، لوجدناه مملوء بالخرافات حول يأجوج ومأجوج مثل التي جاءت في رواية وهب بن منبه.

وفي العصر الحديث وبعد اكتشاف كل مناطق الأرض، وعدم العثور على يأجوج ومأجوج مسجونين وراء السد، فقد حلا للبعض أن يقترح أن يأجوج ومأجوج موجودين في أنفاق تحت الأرض، أو يعيشون في السماء على أحد الكواكب، ولعل الخرافات القديمة حول أشكال يأجوج مأجوج مما أوحى لهم بهذه الأفكار العجيبة.

---

[220] - تفسير ابن كثير سورة الكهف.



الشكل رقم (217) صورة لم تثبت صحتها لكائن فضائي.

إن يأجوج ومأجوج من نسل آدم، فهم من البشر، ويستحيل تواجدهم بأعداد ضخمة في أنفاق تحت الأرض، لأن العلم الحديث ينفي إمكانية ذلك، كما أن القول بأنهم في السماء يعارضه ظاهر الآيات.

المبحث الثاني: مفهوم أن عدد يأجوج ومأجوج يبلغ أضعاف عدد البشر أضعافا كثيرة

لقد نشأ هذا المفهوم بناء على ثلاث مجموعات من الأحاديث: المجموعة الأولى: حديث بعث النار الصحيح ورواياته والتي فُهم منها أن عدد يأجوج ومأجوج يبلغ ألف ضعف لعدد البشر، والمجموعة الثانية: تشمل تلك الروايات التي رُوي بعضها عن الصحابة، ورُفع بعضها للنبي ومفادها أن الرجل من يأجوج ومأجوج لايموت إلا بعد أن يرى من ذريته ألفا أو أكثر، والمجموعة الثالث: تشمل أحاديث خروج يأجوج ومأجوج في

آخر الزمان وكيف أنهم سيمرون مرورا على بحيرة طبرية فيشربون ماءها كله، فلايبقى من مائها شيء.

وسنبدأ في مناقشة هذه المجموعات الثلاثة من الروايات بعون الله.

فأما المجموعة الأولى فتشمل هذه الرواية الهامة التي رواها البخاري في صحيحة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يَقُولُ اللَّهُ يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ. فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ.".

وتبدو الرواية صريحة في أن عدد يأجوج ومأجوج ألف ضعف لعدد المسلمين، ومادام المسلمون اليوم يبلغون حوالي مليار ونصف المليار، فمعنى ذلك أن عدد يأجوج وماجوج يبلغ 1500 مليار، وهو عدد من البشر لايمكن تصوره.

وأرى أن الذي يحل هذه المشكلة هو أن يكون يأجوج ومأجوج المذكورون في الحديث لايُقصد بهم يأجوج ومأجوج الذين اشتكى القوم إلى ذي القرنين منهم، ولاحتى المقصود هو نسل يأجوج ومأجوج المعاصرين للنبي، وإنما يقصد بهم جميع الأمم الكافرة المعاصرة للنبي، فالأمر كان مجازا وتشبيها، وربما أطلق النبي ذلك عليهم لوثنيتهم ووحشيتهم بالمقارنة بالمسلمين.

ومن أظهر الأدلة على رأيي هذا أن النبي لم يذكر إلا أمتين فقط هما: المسلمين، ويأجوج ومأجوج، فلم يذكر الفرس ولا الروم، ولا الزنج ولا الصين، فهل هم في بعث الجنة أم في بعث النار؟ لاشك أنهم في بعث النار، وهذا يدل على أنه أراد بيأجوج ومأجوج كل الأمم غير المسلمين.

ومن الأدلة أيضا أن النبي فسر قوله يأجوج ومأجوج في صدر الحديث بقوله في نهاية الحديث: "ما أنتم في الأمم..."، فالمقصود بالنسبة هو نسبة أمة المسلمين إلى جميع الأمم، وليس نسبتهم إلى يأجوج ومأجوج فقط.

وقد يرى البعض أن نسبة الشعرة البيضاء الواحدة إلى عدد الشعر الأسود في جلد الثور الأسود وهي النسبة المذكورة في الحديث هي نسبة ضئيلة للغاية، غير أن المقصود بكلمة الشعرة هنا ليس الشعرة الواحدة، وإنما مجموعة من الشعر الأبيض، وهو ما يُطلق عليه شعرة أيضا[221], ويؤكد هذا تفسير نفس النسبة في الحديث بالرقمة في ذراع الحمار، وهي دائرة تكون خالية من الشعر في الجهة الداخلية من ذراع الحمار، وتكون ذات مساحة معقولة، كما جاءت روايات تضرب لهذه النسبة أيضا مثلا آخر، وهو الشامة في جنب البعير، ولابد للشامة أن تكون ذات حجم معقول حتى ترى.

وقد قدرتُ نسبة الرقمة في ذراع الحمار، فوجدتها تقريبا واحد إلى ألف من مساحة جلده، وهي نفس النسبة التي ذكرت في صدر الحديث، وهذا يؤكد أن النبي قصد بقوله "يأجوج ومأجوج" في صدر الحديث كل الأمم من غير المسلمين.

ويشهد لهذا الفهم رواية ابن عباس للحديث ففيها: "وإنما أمتي جزء من ألف جزء"[222]، فأمة النبي واحد من ألف بالنسبة لكل الأمم، وليس ليأجوج ومأجوج فقط.

---

221 - لسان بالعرب

222 - تفسير ابن أبي حاتم سورة الحج.

ويبدو أن القرطبي في تفسيره قد وصل إلى نفس النتيجة فلقد قال: "قوله من يأجوج ومأجوج ألف أي منهم وممن كان على الشرك مثلهم".

ونهاية القول أن يأجوج ومأجوج المذكورون في الحديث لا يقصد بهم يأجوج ومأجوج فقط، وإنما يقصد كل الأمم الكافرة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم[223].

---

223 - بقيت مشكلة أخرى وهي قلة عدد المسلمين إلى الكفار عموما، ولاتُحل مشكلة تلك النسبة (الواحد إلى الألف) بالقول بأن أهل المعاصي ينضمون إلى بعث النار، وذلك لأن الحديث واضح في أن بعث النار من يأجوج ومأجوج، أو من الكافرين، كما لا يحل المشكلة القول بأننا إذا أضفنا الكافرين الذين ماتوا قبل البعثة النبوية لصارت النسبة واحد إلى ألف، فلقد تقدَّم العلم -بفضل الله- كثيرا وصرنا نعلم أن أعداد البشر في الأزمنة القديم لم تكن كبيرة، وذلك لأن البشر كانوا يعيشون على الصيد وجمع الثمار قبل عشرة آلاف عام، وهذا يستلزم مساحات شاسعة من الأرض، ويجعل أعداد البشر منخفضة لآلاف السنين، حتى بعد اكتشاف الزراعة والاستقرار، فإن أعداد البشر لم ترتفع كثيرا بسبب الأوئة والمجاعات والحروب، ويقدر الباحثون أعداد البشر الذين عاشوا على الأرض حتى يومنا هذا برقم يتراوح بين 45 مليار إلى 125 مليار إنسان. فلو علمنا أن المسلمون الأحياء اليوم يقدر عددهم بمليار ونصف المليار إنسان، فمعنى ذلك أن نسبتهم للبشر كلهم حوالي واحد إلى مائة، فما بالنا إذا أضفنا إليهم ملايين المسلمين الذين عاشوا منذ البعثة النبوية حتى يومنا هذا. والذي يحل هذه المشكلة في رأيي هو أن نقول أن النبي كان يعني بقوله "منكم رجل" المسلمين المعاصرين له فقط، وليس كل المسلمين في كل العصور، وكذلك يقصد الكفار في زمانه أيضا، وليس في كل العصور، أي أن المقصودين في الحديث هم الأحياء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فلقد توصل ابن حجر العسقلاني إلى أن النبي قال هذا الحديث في منى في حجة الوداع، ويمكننا تقدير المسلمون في هذه السنة بمائتي ألف على وجه التقريب، ويقدر العلماء عدد سكان الأرض في بداية القرن السابع الميلادي بحوالي مائتي مليون إنسان، فتكون نسبةالمسلمون العرب في عهد النبي إلى الكافرين وهم كل أمم الدنيا هي واحد إلى ألف، وهو متطابق مع قول النبي في حديث بن عباس "إنما أمتي جزء من ألف جزء"، وهو اعجاز علمي واضح للنبي صلى الله عليه وسلم.

أما المجموعة الثانية من الروايات، والتي تفيد بأن الرجل منهم لايموت إلا بعد أن يرى من ذريته مائة ألفا، فمن هذه الروايات التي رفعت للنبي ماروواه النسائي عن النبي قال:"إن يأجوج ومأجوج يجامعون ماشاؤوا، ولايموت رجل منهم إلا ترك من الذرية ألفا فصاعدا"[224].

ولقد قال ابن حجر العسقلاني في ذلك: "لم يثبت في أعمارهم شيء"، ولقد تقدَّم العلم كثيرا في العصر الحديث، وتأكدنا أنه ليس هناك من البشر شعب يعمر أفراده حتى يرى أحدهم من ذريته ألفا، وإن كان المقصود كثافة الإنجاب فهذا أغرب وأبعد، ولو كان هناك شعب يتكاثر بهذه الأعداد منذ عهد النبوة حتى الآن لبلغ عدد أفراده عددا لا يمكن تصوره.

المجموعة الثالثة من الروايات هي التي تتحدث عن خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، ومرورهم ببحيرة طبرية، وشربهم لكل ماء البحيرة، وأرى أن المقصود هو عظم أعداد جيوشهم، حيث أن أعداد الجيوش كانت تقدر باستهلاك الجيش من الطعام، والماء، ولقد اشتهر الترك والمغول - رغم قلة أعدادهم نسبيا كأمة- بتكوين جيوش عظيمة العدد، حيث أن كل فرد في الشعب هو محارب بالفطرة، ماهر بفنون القتال.

ومن الأدلة على ذلك ماذكره القرطبي عن الغزو المغولي للعالم الإسلامي، وقد كان يعتبرهم من الترك: "وقد خرج منهم [أي الترك] في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى".

وهكذا يتضح لنا أن المفهوم الذي يقول أن أعداد يأجوج ومأجوج عظيمة للغاية هو مفهوم غير دقيق، وهذا يقوي ماذهبت إليه من أنهم الترك والمغول.

---

224 - تحفة الأحوذي برنامج المحدث.

المبحث الثالث: مفهوم أن يأجوج ومأجوج محبوسون الآن وراء السد

من أهم المفاهيم السائدة حول يأجوج ومأجوج وتتسبب في تحويل موضوع يأجوج ومأجوج إلى معضلة علمية حقيقية، هو المفهوم الذي يقول أن يأجوج ومأجوج يعيشون الآن وراء السد محبوسين خلفه، وأنهم يحاولون الخروج لينقضوا على العالم، وأنه إذا قرب يوم القيامة فإن السد يندك ويخرجون على البشر ويغزون العالم.

والآيات التي يُفهم منها هذا المعنى هي مجموعتان من الآيات:
المجموعة الأولى هي آيات سورة الكهف: "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99)".

والمجموعة الثانية هي آيات سورة الأنبياء: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)".

ومن الأحاديث التي يُفهم منها هذا المعنى هذا الحديث: "استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه، يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"[225].

---

[225] - صحيح البخاري.

والحديث: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه غدا ولا يستثني. فإذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان، فإذا أراد الله بخروجهم على الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه إن شاء الله - ويستثني - فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من السماء قسوة وعلوا، فيبعث الله عليهم نغفا في أعناقهم فيهلكون"[226].

إن هذه الآيات والأحاديث يُفهم منها أن يأجوج ومأجوج محبوسون وراء سد ذي القرنين حتى الآن، وأنهم سيخرجون من سجنهم قبل يوم القيامة عندما يندك السد، فيفسدون في الأرض كما كانوا يفسدون من قبل.

وهذا الفهم يصطدم بمعارفنا الجغرافية، والتي صارت من العلوم اليقينية، فلقد اكتُشفت كل الأرَضين، ودُرست وصُورت كل مناطق العالم بالأقمار الصناعية، ولم يعد هناك شبر واحد من اليابس مجهول، فأين هي هذه المليارات أو حتى الملايين من يأجوج ومأجوج؟

ومن العجيب أننا نجد بعد ظهور هذه الحقائق العلمية الواضحة من يصر على أن يأجوج ومأجوج محبوسين وراء سدهم يحاولون الخروج، أومن يقول أن يأجوج ومأجوج هم غيب من الغيوب، أخفاه الله وسيخفيه حتى يخرجون في آخرالزمان، أو من حاول أن يهرب فقال أن يأجوج ومأجوج في سراديب تحت الأرض، أو في أحد كواكب السماء.

---

226 - مسند الإمام أحمد الموسوعة الشاملة تفسير الدر المنثور السيوطي
http://islamport.com/w/tfs/Web/2399/3279.htm

إن علمائنا القدماء لم يشكُّوا أن يأجوج ومأجوج من البشرمن نسل آدم عليه السلام، ولكن بسبب أن الأرض لم تكن قد اكتُشفت كلها بعد، فقد اعتقدوا أن يأجوج ومأجوج في مكان ما وراء السد في بعض البلاد النائية، وهم معذورون في فهمهم هذا، أما من يعيش في عصرنا هذا ويقول بأن يأجوج ومأجوج أمة مليارية مسجونة في مكان ما، فما هو عذره؟

أرى أن القائلين بهذا الرأي من المعاصرين لم ينتبهوا إلى أمرين: الأول أن الآيات القرآنية التي ذكرناها ليست قطعية الدلالة على أن يأجوج ومأجوج محبوسون الآن وراء سدهم, بل الآيات تحتمل وجها أو وجوها أخرى من التفسير، والثاني أن لبعض الأحاديث النبوية في هذه المسألة تأويلا آخر، كما أن بعضها ضعيف السند، أومخالف للواقع الجغرافي اليقيني، وقد اعتبر علماء الحديث مخالفة الحديث للواقع المشاهد من العلل القادحة في صحة الحديث.

والآن فلنبدأ بمناقشة آيات الكهف:

أولا: السد لم يسجن يأجوج ومأجوج:

إذا أعدنا قراءة آيات سورة الكهف، فسنجد أن القوم طلبوا من ذي القرنين أن يبني **بينهم وبين** يأجوج ومأجوج سدا يقول المولى عز وجل حكاية عنهم: "...على أن تجعل بيننا وبينهم سدا"، إن القرآءة المحايدة المتحررة من المفاهيم السابقة تحكم بأن قول القوم: "بيننا وبينهم"، يُفهم منها أن السد لايَحبس يأجوج ومأجوج، وإنما هو فقط يمنع يأجوج ومأجوج من الوصول إلى لقوم.

ثم نقرأ قول ذي القرنين:"... أجعل بينكم وبينهم ردما"، وهنا يكرر القرآن على لسان ذي القرنين هذه المرة أن السد/الردم بين القوم وبين يأجوج ومأجوج، أي أن السد ليس بين البشر كلهم من جهة ويأجوج ومأجوج من جهة أخرى، وهو ليس جدارا يسجن يأجوج ومأجوج ويمنعهم من غزو البلاد الأخرى.

وهذا يتفق مع ماتوصلتُ إليه من أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، وأنهم كانوا يعيشون في سهوب وسط آسيا، وكانت بلادهم مفتوحة، وأنهم كانوا يسلكون ممرا جبليا ليصلوا إلى القوم الذين يعيشون بين السدين، فبنى ذو القرنين ردمه في هذا الممر ليمنعهم من الوصول للقوم.

ثانيا: "وعد ربي" لايقصد به هنا يوم القيامة:

فَهِم كثير من علمائنا أن وعد ربي في قول ذي القرنين يعني يوم القيامة، فإذا جاء اندك السد، وصار دكاء، وخرج يأجوج ومأجوج، والحقيقة أن هذا ليس التفسير الوحيد للجملة، فلقد جاء "وعد الله" في قوله تعالى: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"[227]، بمعنى موعود الله برد موسى إلى أمه، فلقد وعدها الله من قبل برد موسى إليها وذلك في قوله تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي **إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ** وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[228].

ونحن إذا قلنا أن "وعد ربي" تعني يوم القيامة فإن المعنى لا يستقيم، لأن المعنى سيكون فإذا جاء يوم القيامة جعل الله السد دكاء، وخرج يأجوج ومأجوج، ومن المعلوم أن خروج يأجوج ومأجوج سيحدث قبل يوم القيامة، وليس عندما يبدأ يوم القيامة، كما أن فهم "وعد ربي" بأنه يوم القيامة معارض لصريح الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ".

وفي النهاية فإن الذي أراه أنه المراد بـ "وعد ربي" هنا هو أمر الله بدك السد ليس إلا.

---

[227] - سورة القصص آية 13.

[228] - سورة القصص آية 7.

ونظرا لقدم زمن ذي القرنين وعدم عثورنا على القوم الذين يفقهون قولا محتمين وراء سدهم، فلا أشك أن وعد الله قد جاء، وأن السد صار دكّاء، وأنه حدث بالفعل أن ماج يأجوج ومأجوج في القوم الذين يسكنون دون السدين.

وقد روى القرطبي الرأي الذي يقول بأن "وعد ربي" يعني وقت خروجهم، كما روى الرأي الذي يقول بأن قوله:"وتركنا بعضهم" تعني أن هذا حدث وقت اندكاك السد[229].

ثالثا: الموجان ليس في آخر الزمان:

يقول تعالى "وتركنا بعضهم يموج في بعض" لقد تم تفسير المَوَجان بأنه اجتياح يأجوج ومأجوج للعالم الذي يحدث في نهاية الزمان، واستندوا في ذلك إلى أن الجملة التالية مباشرة هي: "ونُفخ في الصور فجمعناهم جمعا"، كما قيل أن هذا الموجان يحدث عقب انهيار السد في آخر الزمان.

ولكن العبارات تحتمل تفسيرا آخر، وهو أن الموجان حدث وانتهى، فقد ذكر القرطبي في تفسيره ثلاثة آراء حول الموجان ووقته، وقال أن أظهر الآراء هي أن المَوجان قد حدث وانتهى يوم بناء السد، وهو كان موجان يأجوج ومأجوج بعضهم في بعض حيرة وترددا.

والشاهد من هذا الرأي هو أنه من ناحية اللغة يصح أن يكون المَوجان حدث وانتهى منذ فترة طويلة، وأرى أن الموجان حدث يوم دك السد، وكان ذلك في الزمن القديم أيضا، وعندها ماج يأجوج ومأجوج في القوم الذين يعيشون بين السدين وانتهى الأمر، والدليل على ذلك أننا لانجد الآن قوما محتمين وراء سد ويخبروننا أن الذي بناه هو ذي القرنين، وأنه في الجهة الأخرى يأجوج ومأجوج.

---

229 - وإن كان القرطبي يقصد أن وقت دك السد وخروج يأجوج ومأجوج وموجانهم لم يحدث بعد.

والآن فلنناقش آيات سورة الأنبياء:

يقول تعالى:: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95) حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)"[230].

هذه الآيات الثلاث هي أقوى أدلة القائلين بأن يأجوج ومأجوج محبوسون الآن وراء السد في مكان ما من الأرض، وذلك لأن الآية تقول: "حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج"، وقال القرطبي وغيره من المفسرين فُتحت يأجوج ومأجوج أي فُتح سدهم.

أما الآية الأولى: "وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون"، فللمفسرين في تفسيرها ثلاثة آراء: الرأي الأول هو أن معنى الآية هو أن الله منع القرية التي أهلكها أن تعود للحياة مرة أخرى، والرأي الثاني هو أن الله منع القرية التي قدَر إهلاكها من أن ترجع أي تتوب، والمعنى الثالث هو أن الله منع القرية التي قدر إهلاكها أن تُقبل أعمالها وذلك لأنهم لايتوبون.

أما الآية الثانية: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون"، فأما قوله حتى فتحت يأجوج ومأجوج فلقد فسرها المفسرون بفتح سد يأجوج ومأجوج الذي بناه عليهم ذو القرنين، وأما قوله: "وهم من كل حدب ينسلون" فلقد قالوا أنه هذا حال يأجوج ومأجوج عندما يخرجون فإنهم يجرون من كل صوب، أو من كل مكان مرتفع؛ فالنسل نوع من الجري.

وذكر بعض أهل التفسير رأيا مخالفا وهو أن "وهم من كل حدب ينسلون" هو حال الموتى عند بعثهم يوم القيامة، وكأنهم يقصدون أن معنى الآيتين معا: ومنع الله أن تعود القرى المهلكة إلى الحياة حتى إذا فُتح سد يأجوج ومأجوج، بُعث الموتى من

---

[230] - سورة الأنبياء.

قبورهم ينسلون، ويبدوا أن أصحاب هذا الرأي اعتمدوا على الآية: "فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون"[231] .

أما قوله: " وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ "، فلقد اتفق المفسرون أن الوعد الحق هو يوم القيامة، وقالوا أن "واقترب الوعد الحق" هو جواب الشرط لقوله "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج"، وأن الواو زائدة، وشبَّهوا ذلك بقوله تعالى"**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ - وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيم.**"[232]، أي عندما أسلما وتله للجبين ناديناه، وقال بعض المفسرين أنه ربما يكون قوله: "فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا" هي جواب الشرط.

ولقد ذكر القرطبي رأيا ينتقد تفسير قوله تعالى: "وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون"، بأنه منع القرى الهالكة من الرجوع للحياة، يقول هذا الرأي أن هذا **مما لافائدة منه**، وأرى أن هذا الانتقاد **منطقي**، فالقرآن يجادل أهل الكفر في طول القرآن وعرضه ليقنعهم بحقيقة البعث، وهم يستبعدون الرجوع إلى الحياة، فلماذا يؤكد القرآن لهم هنا ما يشاهدونه ويعلمونه، وخصوصا أنهم يحتجون به على عدم حدوث البعث.

كما أن قوله: "حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج" لايمكن تفسيره الآن بأنه خروج يأجوج مأجوج من محبسهم لأنه ثبت –بما لا يدع مجالا للشك- أنه ليس هناك حبس ولاسجن، وأنه لاوجود لأمة مسجونة خلف سد تتلمظ لتنقض على البشر.

وأرى أن تفسير المفسرين للجملة السابقة بفتح سد يأجوج ومأجوج فيه **بُعد**، فإنه يلزم القول بأن هناك مجاز حيث أن نسبة الفتح إلى يأجوج ومأجوج، وهي حقيقة إلى السد، أو القول بأن الكلام على حذف المضاف -وهو السد- وإقامة المضاف إليه –يأجوج ومأجوج- مقامه، وفيه بُعد كما ترى، كما أن هذا مخالف

---

[231] - سورة يس الآية 51

[232] - سورة الصافات: الآيتان 103 - 104

لظاهر آيات سورة الكهف، وهو أن الله يجعل السد دكاً ودكاء[233]، وهذا بعيد - فيما لأرى- أن يُعبر عنه بالفتح.

كما أنه هناك **بُعد** في تحديد طرفي أسلوب الشرط، فلو قلنا أن معنى الآيتين الأوليين هو أن الله منع القرى المهلكة أن تعود للحياة حتى إذا فُتح سد يأجوج ومأجوج عادوا وخرجوا من قبورهم، فإن المعنى ليس دقيقا، فرغم أنه من المعروف أن خروج يأجوج مأجوج علامة من علامات الساعة، إلا أن القول بأن البعث يحدث عند انهيار سد يأجوج ومأجوج غير دقيق.

أما فهم أسلوب الشرط في الآيات هكذا: أنه إذا خرج يأجوج ومأجوج بعد فتح سدهم اقترب الوعد الحق فإنك تشعر بأن المعنى ليس قويا بما يكفي.

أولا: فهم جديد لآيات سورة الأنبياء:

لقد قدَّم فهد سالم في كتابه: "كشف السر التاريخي يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج"، فهمًا جديدا لآيات سورة الأنبياء، فقال أن المقصود بالقرية التي أهلكها الله هو **أهل قرية بعينها**، وهي مملكة بني إسرائيل الشمالية، أو"مملكة إسرائيل"، فلقد انقسم بنو إسرائيل بعد وفاة نبي الله سليمان إلى مملكتين: الشمالية أو "مملكة إسرائيل"، وضمت عشرة قبائل، والجنوبية أو "مملكة يهوذا" وضمت ثلاثة قبائل، وكلمة قرية تُطلق أيضا على المِصْر الجامع، وقال فهد سالم أن سكان المملكة الشمالية، هم أنفسهم الألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، فقال الله لهم موتوا ثم أحياهم، وذكرهم القرآن في سورة البقرة، وقال فهد سالم أيضا أنهم لم يعودوا إلى أرض فلسطين، وإنما حرَّم الله عليهم الرجوع مثل تحريمه بيت المقدس على بني إسرائيل أربعين سنة، وقال أن

233 - كما في قرآئتين صحيحتين.

هؤلاء اليهود هم أنفسهم الذين عاذُوا وهم من كل حدب ينسلون إلى فلسطين[234].

ثانيا: مناقشة الرأي السابق:

الحقيقة أنني أؤيد رأي فهد سالم في تفسير القرية المهلكة بالمملكة الشمالية، وكذلك أؤيد رأيه بأن اليهود من نسل هؤلاء المهلكين هم الذين رجعوا إلى فلسطين وهم من كل حدب ينسلون، وسأدلل على هذا الرأي.

لقد ذكر القرآن أن هناك قوما خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله ثم أحياهم، يقول تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ"[235].

وفي تفسير الآية رأيان رئيسان، الرأي الأول وهو الأشهر أن هؤلاء القوم كانوا من بني إسرائيل، وأنهم خرجوا من بيوتهم هربا من الطاعون، فأماتهم الله، ثم أحياهم، وبهذا جاءتنا روايات عن مسلمة أهل الكتاب، أو عن مَن أَخذ منهم.

---

[234] - وبجوار هذه النظرية قدم فهد سالم نظرية أخرى واعتبرها محور الكتاب، وهي أن هؤلاء القوم من بني إسرائيل هم أنفسهم قوم يأجوج ويأجوج الذين ذُكر غزوهم لفلسطين في آخر الزمان، وقال أن هؤلاء القوم المهلكين بعد أن أحياهم الله على يد النبي حزقيال فإنهم هاجروا إلى شمال جبال القوقاز، وهناك اختلطوا بالشعب التركي المسمى بالشعب الخزري، والدليل على ذلك أن هذا الشعب التركي الأصل أعلن اعتناقه اليهودية كله في القرن الثامن الميلادي، وبعد ذلك فإن هذا الشعب قد هاجر واستوطن شرق أوربا، وعرف بعد ذلك باسم اليهود الأشكيناز، وهؤلاء الأشكيناز هم الذين صاروا يمثلون الأغلبية الساحقة لليهود في العصر الحديث، وهم أغلبية من هاجروا إلى فلسطين في الهجمة الصهيونية عليها.

[235] - سورة البقرة الآية: 243

والرأي الآخر هو أن هؤلاء القوم خرجوا فرارا من عدوهم فأماتهم الله ثم أحياهم، وبهذا جاءت رواية رواها الطبري في تفسيره عن ابن عباس يقول: "عدد كثير خرجوا فرارا من الجهاد في سبيل الله، فأماتهم الله، ثم أحياهم، وأمرهم أن يجاهدوا عدوهم؛ فذلك قوله: وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم."

والرأي الأخير -في نظري- هو الذي يشهد له السياق، فالآية تقول "وهم ألوف" وكلمة ألوف قال المفسرون أنها تعني أكثر من عشرة آلاف، وذكر ضخامة عدد الذين خرجوا - بمقاييس ذلك الزمان- لايضيف للمعنى شيئا إن كان الخروج فرارا من الطاعون، لأن كثرة العدد لاتمنع من الإصابة، وليست مظنة المنع من الإصابة بالطاعون، بينما لو كان الخروج فرارا من عدو يزحف عليهم، لكان لذكر كثرتهم فائدة، فهو سبب كان يجب أن يدفعهم للبقاء ومقاومة عدوهم بدلا من الفرار.

كما أن الآية التالية مباشرة لهذه الآية تقول: "وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[236]، وهذا يشير إلى أن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت كانوا فارِّين من الزحف، وهو ما أشار إليه ابن عباس.

والملاحظ أن هذه الآية تشبه الفقرات الأربع عشرة الأولى من الإصحاح رقم 37 من سفر النبي حزقيال، والتي تقول: "كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَني بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَامًا،2 وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدًّا.3 فَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هذِهِ الْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ».4 فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ عَلَى هذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ:5 هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهذِهِ الْعِظَامِ: هأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ.6 وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ».7 فَتَنَبَّأْتُ

[236] - سورة البقرة الآية 244.

كمَا أُمِرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتنَبَّأُ كَانَ صَوْتٌ، وَإِذَا رَعْشٌ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ.8 ونَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ الْجِلْدُ علَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ.9 فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَاابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا».10 فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظيمٌ جِدًّا جِدًّا. 11 ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ العِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا.12 لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ.13 فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي.14 وأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فتَحْيَوْنَ، وَأَجْعَلُكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ الرَّبُّ".

ومن الطريف أن مسلمة أهل الكتاب لاحظوا الشبه بين تلك الآية الشريفة، وبين سفر حزقيال، فنجد أن وهب بن منبه يقول: "أصاب ناسًا من بني إسرائيل بلاءٌ وشدة من الزمان، فشكوا ما أصابهم، وقالوا: يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه ! فأوحى الله إلى حزقيل: إن قومك صاحوا من البلاء، وزعموا أنهم ودّوا لو ماتوا فاستراحوا، وأي راحة لهم في الموت ! أيظنون أني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت؟ فانطلق إلى جبانة كذا وكذا، فإن فيها أربعة آلاف - قال وهب: وهم الذين قال الله: {ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت } - فقم فيهم فنادهم ! وكانت عظامهم قد تفرقت، فرقتها الطير والسباع. فناداهم حزقيل، فقال: يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي ! فاجتمع عظام كل إنسان منهم معا. ثم نادى ثانية حزقيل، فقال: أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسي اللحم ! فاكتست اللحم، وبعد اللحم جلدا، فكانت

أجسادا. ثم نادى حزقيل الثالثة فقال: أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن تعودي إلى أجسادك، فقاموا بإذن الله، وكبروا تكبيرة واحدة.".

وكذلك روى الطبري عن كل من (أبي مالك)، وأشعث بن أسلم البصري رواية تربط بين الآية الشريفة، وبين نص سفرحزقيال[237].

والآن تعالوا ندقق في الآيات الأربعة عشر الأولى من الإصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال؛ الظاهر من كلام كاتب السفر أن حزقيال يرى رؤيا، فهو يرى عظاما لأناس ماتوا منذ زمن، ثم يحييهم الله أمامه، ثم يخبره أن هؤلاء القوم هم **كل بني إسرائيل**، وأن الله سيعيدهم إلى الحياة بمعنى أنه سوف يعيدهم إلى أرض فلسطين، وهذا واضح من قول كاتب النص: **"**يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ الْعِظَامُ هِيَ **كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ**. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا.12 لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ**"**.

وهذا يعني أن كاتب النص يقصد بالموت والإحياء المذكورين الموت المجازي والإحياء المجازي، فالموت هو تفرق بني إسرائيل بين الأمم، وانتهاء دولتهم، أي موتهم كأمة، أما إحيائهم أو إخراجهم من قبورهم فهو إحيائهم كأمة، وهو رجوعهم إلى أرض فلسطين، وقيام دولة لهم من جديد، ويؤكد هذا المعنى الآيات التالية في نفس الإصحاح[238].

ولكن هذا المعنى الذي صاغه كاتب أو كتبة السفر مخالف لنص الآية، فالآية تتحدث عن قوم أماتهم الله ثم أحياهم على الحقيقة، بعد أن فرُّوا من بيوتهم، رغم كونهم ألوف كثيرة حذر الموت، فهل كان القرآن يصحح لكاتب/ كتبة السفر التحريف الذي صنعوه في النص؟

---

237 - الطبري، تفسير الطبري.

238 - حزقيال 37.

إننا نلاحظ قول كاتب النص: " فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا"، فالقوم لم يكونوا رجالا ونساء وأطفالا وإنما كانوا جنودا فرُّوا من الزحف، فإنه لايقال عن أي شعب أنه جيش.

كما نلاحظ أن كاتب النص يقول عنهم أنهم كانوا مقتولين:"هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا"، وهذا يتفق مع ظَنِّ الناس في عصر إحياء هذه الألوف، خرجوا من بيوتهم هربا من الزحف فأماتهم الله، ثم عثر بعض أهلهم عليهم بعد أسابيع أوشهور فظنوا أن الجيش الغازي لحق بهم وقتلهم.

أما المفاجأة الغير متوقعة هي أن كلمة "بيت إسرائيل"، والتي ذكرت في النص لتعريف الموتى الذين أحياهم الله، هذه الكلمة لا تعني فقط بني إسرائيل، بل أُطلقت من قِبَل الأنبياء قَبْل حزقيال على "مملكة إسرائيل" أو"المملكة الشمالية"، وذلك في مقابل مملكة يهوذا الجنوبية.

أي أننا يمكننا أن نفهم النص في قوله: "يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ العِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ"، على أن المقصود هم جيش مملكة إسرائيل، أو المملكة الشمالية، الذين فروا من الزحف فأماتهم الله، وهذا الفهم يفسر اختفاء المملكة الشمالية بعد غزو الآشوريين لهم حوالي 720 قبل الميلاد، حيث لم يُسمع عن القبائل العشرة التي كانت تعيش في هذه المملكة بعد غزو الآشوريين، ولقبت هذه القبائل في التاريخ بـ "القبائل العشرة الضائعة".

كما أن في باقي آيات الإصحاح يتحدث حزقيال عن عودة شعب مملكة إسرائيل -والمقصود نسلهم-، وكذلك شعب مملكة يهوذا -والمقصود نسلهم- آخر الزمان، وتكوينهم دولة واحدة على أرض فلسطين، بعد أن يجمعهم الله من بين الأمم، وهذا يشير لوعي كاتب النص بوجود القبائل العشرة وامتداد نسلهم الى زمن العودة في آخر الزمان.

أما تصوري لكيفية تطور نص حزقيال فهو كالآتي: أولا: هاجم الآشوريين المملكة الشمالية، وبدلا من أن يخرج رجال بني إسرائيل من سكان المملكة الشمالية للدفاع عنها مقاتلين في سبيل الله يبغون النصر أو الشهادة، بدلا من ذلك فإنهم فرُّوا من بيوتهم رغم أنهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل، فرُّوا حذر الموت خوفا من أن يقتلوا على يد الغزاة الآشوريين، فأماتهم الله.

ولم يعلم سكان المملكة الجنوبية بما حدث، وربما رأى البعض من سكان المملكة الشمالية القوم الموتى بعد أن أنتنوا، وظن أنهم قد قتلوا على يد الآشوريين أثناء الغزو.

ثانيا: وبعد مرور أكثر من مائة عام أرسل الله النبي حزقيال إلى حيث العظام التي يبست وصارت نخرة، ثم أحيا الله على يدي هذا النبي القوم، فرأى حزقيال جيشا عظيم العدد، وعندما سأل الله حزقيال عن القوم من يظنهم يكونون، وأجاب النبي أن الله أعلم، أخبره المولى عز وجل أن هؤلاء هم كل بيت إسرائيل، والمقصود أنهم معظم رجال شعب المملكة الشمالية، كما أخبر الله حزقيال أن الله حرَّم عليهم العودة، وأنهم سيبعثرون في الأمم حتى إذا جاء موعد العودة سيخرجهم الله من بين الأمم وسيعودون إلى أرض فلسطين.

ثالثا: عندما وضع كتبة السفر الصياغة النهائية للسفر كما وصلنا فيبدوا أنهم فهموا أن كل بيت إسرائيل هنا تعني كل بني إسرائيل، ولما لم يكن كل شعب مملكة يهوذا قد قُتلوا، أو حتى نسبة كبيرة منهم، فقد فهموا أن الكلام رمزي، وأن القصة هي رؤيا رمزية تحكي موت دولة بني إسرائيل ثم بعثها في آخر الزمان، فأتوا بهذه العبارات:"هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا.12 لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا **أَفْتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ".**

رابعا: ورغم تغيير المعنى العام للآيات على يد واضعي الصياغة النهائية للسفر، فإننا نجد اليهود في كتبهم غير التوراة، يحتفظون بالمعنى الصحيح لسفر حزقيال، وهو أن الإماته والأحياء كان حقيقيا وليس مجازا[239]، وخلاصة القول هو أنه رغم تحريف الكتبة لمحور الحدث، إلا أن الحقيقة الأصلية بقيت في وعي اليهود، وهي أنه تم إحياء ألوف من بني إسرائيل بعد أن بليت عظامهم.

أما عن تحديد هؤلاء القوم فيبدوا أن اليهود نسوا أوتناسوا من هؤلاء، ولا حاجة لنا في الذهاب بعيدا عن نص حزقيال، فالنص يقول صراحة أنهم كل بيت إسرائيل، ومادام النص لايريد كل بني إسرائيل بمعنى كل الإسرائيليين، لأن هذا مخالف للواقع، فيكون المعنى كل أبناء المملكة الشمالية أي مملكة إسرائيل.

يؤكد هذا أن النص القرآني يتحدث عن ألوف، وأنهم خرجوا من ديارهم حذر الموت، وفي نص حزقيال أنه بعد إحياء الموتى رأى جيشا عظيم العدد، فالموتى كانوا جيشا عظيما فار من زحف أعدائه، وهذا يناسب أن يكون جيش مملكة إسرائيل.

ويدعم هذا الحقيقة التاريخية وهي إختفاء الأسباط العشرة المكونة لشعب المملكة الشمالية، فقال بعض اليهود أنه تم سبيهم إلى بلاد آشور، وقال بعض المعاصرين أنهم ذابوا في الشعوب

---

239 - كتب اليهود في كتبهم غير التوراة أن إحياء حزقيال للموتى لم يكن رؤيا بل كان حقيقة وكان أكبرمعجزات النبي، وجاءت في تحديد القوم ثلاث روايات الأولى أنهم قوم أنكروا البعث، والرواية الثانية أنهم من قبيلة إفراين ابن يوسف وأنهم هربوا من مصر قبل زمن موسى، وأنهم هلكوا في محاولتهم هذه، والرواية الثالثة أنهم مجموعة من شباب اليهود سباهم نبوخذ نصر من مملكة يهوذا، ونظرا لحسنهم فقد خشى نبوخذنصر أن تفتتن بهم نساء بابل، فقتلهم، الرواية الرابعة هي أنهم قوم قتلهم نبوخذ نصر وقد كانوا تركوا عبادة الله وعبدوا الأصنام، ولكن نبوخذ نصر خشى أن يهلك الله بابل بسبب هؤلاء كما أهلك مدينة بيت المقدس فقتلهم.

المجاورة، بينما تطرف البعض وشكك في وجود مملكة إسرائيل من الأساس.

خامسا: نزل القرآن الكريم يخبر عن القوم، وعن سبب إهلاكهم، وعن إحيائهم، وذلك في آية البقرة.

سادسا: كما نزل القرآن يعطي معلومات إضافية عنهم أيضا في سورة الأنبياء، في قوله: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ - حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ"، والمعلومات هي أن الله حرَّم على القرية، أي سكانها ونسلهم، التي أهلكها الله، أي أماتهم ثم أحياهم، أن يرجعوا، أي يعودوا إلى أرضهم ودولتهم، حتى موعد فتح يأجوج ومأجوج، فإذا فُتحت يأجوج ومأجوج رجعوا، وهم من كل حدب، أي من كل صوب، ينسلون أي يخرجون من بين الأمم.

وهذه الآيات تصدِّق ما جاء في سفر حزقيال من عودة المُهلَكين إلى أرضهم، وهي المملكة الشمالية في آخر الزمان، وتصدِّق التأكيد الذي ذكره حزقيال على عودة سكان المملكة الشمالية مع إخوانهم من سكان المملكة الجنوبية وتكوينهم دولة واحدة في آخر الزمان، بعد جَمعهم من بين الأمم.

ثالثا: عودة إلى آيات الأنبياء

وقد يثور السؤال لماذا خصصتَ آيات الأنبياء بسكان مملكة الشمال، ألم يعد اليهود إلى فلسطين من كل حدب ينسلون، سواء منهم من كان من نسل سكان مملكة إسرائيل أومن نسل سكان مملكة يهوذا؟ والجواب أن النص القرآني يقول: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ"، والظاهر أن القرية المهلكة هي التي أمات الله سكانها أو جُلَّهم، وهذا ينطبق على قرية المملكة الشمالية، بينما لاينطبق على قرية مملكة يهوذا إلا من باب المجاز، ولاحاجة لنا هنا إلى الأخذ بالمجاز.

والذي يدعم هذا ويؤكد دقة القرآن أن سكان مملكة يهوذا الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل قد عادوا بعد نيف وأربعين عاما من السبيّ، وكوَّنوا دولة لهم على نفس أرض مملكة يهوذا وعاصمتها بيت المقدس، داخل أراضي فلسطين، بل واستطاعوا بناء هيكلهم في بيت المقدس مرة أخرى.

ولقد جاءت نبوءة على لسان النبي إرميا بعودة سكان يهوذا إلى أرضهم مرة أخرى، وسواء كانت هذه النبوءة حقيقية أو كتبت بعد الحدث، فإنها تعكس واقعا حدث بالفعل، وهو أن سكان مملكة يهوذا قد عادوا إلى أرضهم وأعادوا بناء مملكة يهوذا مرة أخرى، بينما لم يعد سكان المملكة الشمالية إلى أرضهم، ولم يعيدوا تكوين مملكتهم ولا بناء مدينتهم السامرة مرة أخرى، وبهذا فلا يمكن القول بأن الرجوع كان محرَّما أي ممنوعا على كل بني إسرائيل، وإنما هو كان ممنوعا ومحرما على سكان المملكة الشمالية ونسلهم حتى عادوا في العصر الحديث وهم من كل حدب ينسلون[240].

وهكذا تتضح دقة القرآن في تصديقه للتوراة، وللتاريخ أيضا، فالقرية المهلكة - وليس كل بني إسرائيل- لن ترجع إلى مملكتها بمعنى لن تقوم مملكة إسرائيل الشمالية أومملكة إسرائيلية على أرض مملكة إسرائيل الشمالية، إلا في آخر الزمان عندما تُفتح

[240] - تختلف نبوءة القرآن في آيات الأنبياء عن نبوءة القرآن في آيات الإسراء، فنبوءة القرآن في آيات الإسراء تتحدث عن علوين إفساديين لليهود، أولهما كان قبل نزول القرآن وهو في الفترة من وفاة نبي الله سليمان، إلى غزو الآشوريين لمملكة إسرائيل، وغزو البابليين لمملكة يهوذا وبيت المقدس، أما العلو الإفسادي الأخير فهو ما نراه الآن من دولة إسرائيل، ونحن نجد في نفس سورة الإسراء قوله تعالى: "فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً "، والذي يعني أن العلو الإفسادي الأخير سيحدث بعد عودة اليهود من بني إسرائيل إلى أرض فلسطين، وهذه النبوءة القرآنية لاتتعرض لعودة سكان مملكة يهوذا إلى أرضهم والذي حدث قبل الميلاد، حيث أنها تتحدث عن العلو الإفسادي، وهو مالم يحدث في دويلة اليهود بعد عودتهم من السبي حيث كونوا دولة ذليلة تابعة، هذا بينما تتحدث آيات الأنبياء عن مطلق الرجوع وتكوين دولة، والله أعلم.

يأجوج ومأجوج، وهذا ما يُفهم من نص حزقيال، وهو ما حدث بالفعل.

رابعا: "وهم من كل حدب ينسلون"

هذه الجملة اعتبرها جمهور علماء التفسير القدماء تصف حال يأجوج ومأجوج بعد أن يهدم السد ويخرجون من ورائه، بينما رأى البعض من أهل التفسير أنها تصف حال الموتى إذا بُعثوا وقاموا من قبورهم، معتمدين في ذلك على قوله تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ".

وأهم اعتراض على رأي جمهور المفسرين هو أن يأجوج ومأجوج ليسوا محبوسين وراء أي سد من السدود، وأن هذا صار من المسلمات، كما أن هناك اعتراضات أخرى منها أنه بفرض خروج يأجوج ومأجوج من وراء السد بعد فتحه فإنهم سيهجمون من جهة السد، وليس من كل حدب بمعنى من كل جهة، أو حتى من كل مكان مرتفع.

والاعتراض الأخير أن جواب الشرط لقوله: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج" ليس واضحا، بينما لو جعلنا "وهم من كل حدب ينسلون" وصفا لحال القرية المهلكة عند عودتها لفلسطين، لكان جواب الشرط مقدرا، وهو: (رجعوا) وهم من كل حدب ينسلون، ورغم أن كلمة رجعوا مقدرة إلا أن هذا التوجيه أقوى وأظهر.

وقوله من كل حدب ينسلون يصدق تماما على عودة بني إسرائيل إلى أرض فلسطين في العصر الحديث، فـ"من كل حدب" تعني من كل صوب، وهذا ما حدث فلقد هاجر اليهود إلى فلسطين من عشرات الدول، مستقلين السفن والطائرات من العديد الموانئ، والمطارات الدولية المختلفة.

أما كلمة ينسلون فهي كلمة عجيبة استخدمها القرآن في خروج الموتى عند بعثهم من قبورهم، وخروجهم للقاء الله، ويقول علماء اللغة أن كلمة "النسل: الانفصال عن الشيء. يقال: نسل الوبر عن

البعير، والقميص عن الإنسان، قال الشاعر: فسلي ثيابي عن ثيابك تنسلي، والنسالة: ما سقط من الشعر، وما يتحات من الريش، وقد أنسلت الإبل: حان أن ينسل وبرها،..."[241]، أي أن النسل هو انفصال الشيء عن أمثاله، في سهولة، وعدم استخدام قوة، أو عنف في ذلك.

ولقد خرج اليهود من بين أمم الأرض المختلفة التي عاشوا بينها لمئات عديدة من السنين، فلقد جاء اليهود الألمان من ألمانيا يتكلمون الألمانية، واليهود الروس خرجوا من بين الروس، وهم يتكلمون الروسية، واليهود المغاربة من بين المغاربة، وهم يتكلمون اللهجة المغربية، وهكذا، مصداقا لقوله عز وجل: "وقطعناهم في الأرض أمما"، أي أنهم تحولوا لأمم مختلفة، كل أمة تنتسب إلى الأمة التي تعيش فيها، لذا أرى أن كلمة ينسلون **هي أدق كلمة في المعجم** لوصف خروج بني إسرائيل من بين الأمم، أثناء هجرتهم إلى أرض فلسطين في العصر الحديث.

وبالإضافة لما سبق فإن قوله: "وهم من كل حدب ينسلون" هو من باب تصديق القرآن لما بين يديه من الكتاب، ففي التناخ/العهد القديم: "وَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا آخُذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ الَّتِي ذَهَبُوا إِلَيْهَا، وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَآتِي بِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ" سفر حزقيال 38: 21، فكلمة "ينسلون" هي تصديق: لـ "آخذ بني إسرائيل من بين الأمم"، وقوله: "من كل حدب"، هو تصديق: لـ "من كل ناحية".

بقيت مشكلة لابد أن نتعرض لها، وهي أن هناك أحاديث بعضها **صحيح** السند، وقد ذُكرت هذه العبارة القرآنية: "وهم من كل حدب ينسلون" في متن الحديث، ولم يقصد بها إلا وصف خروج يأجوج ومأجوج، مثل حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم، الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وفيه:"...،

241 ـ راغب الأصفهاني، مفردات القرآن.

ويبعث الله يأجوج ومأجوج، **وهم من كل حدب ينسلون،** فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ..." الحديث .

وربما لهذا السبب قال جمهور المفسرين أن الذين سيخرجون وهم من كل حدب ينسلون هم يأجوج ومأجوج، وبالتالي قالوا أن معنى قوله حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج تعنى دك السد، وخروجهم، ويترتب على ذلك أن يأجوج ومأجوج محبوسين الآن وراء السد.

وما أراه هو أن هذه الروايات حتى الصحيحة السند منها قد **رُويت بالمعنى،** وأن قول الرواية "وهم من كل حدب ينسلون" في وصف خروج يأجوج ومأجوج، ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، بل من كلام الراوي نتيجة فهمه هو، وأنه ربما قد حدث **إدراج** لهذه العبارة في متن الحديث، والله أعلم.

خامسا: تفسير جديد لقوله تعالى: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج":

أما رأيي في تفسير قوله تعالى: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج"، هو أننا يجب أن نفسر الجملة على غرار جملة مشابهة لها جاءت في القرآن الكريم، فإن لم نجد فعلى غرار جملة مشابهة لها من الحديث الشريف.

ونحن إذا فعلنا فسنجد قول النبي عندما كان يضرب الصخرة في الخندق: "فُتحت الروم"، فالروم ليس مكانا وإنما شعبا مثل يأجوج ومأجوج، ومعنى قوله "فُتحت الروم" لايعني سوى فُتحت بلاد الروم، وعلى هذا يمكننا القول أن "فُتحت يأجوج ومأجوج" تعني مباشرة "فُتحت بلاد يأجوج ومأجوج"، بمعنى أن هناك من سيفتح بلاد يأجوج ومأجوج.

ويكون المعنى العام للآيتين أن سكان مملكة الشمال ونسلهم ممنوعون من العودة إلى أرضهم وإقامة دولتهم، إلا عندما يَفتح

بعضُ الغزاة بلاد يأجوج ومأجوج، وعندها سيعود هؤلاء النفر من بني إسرائيل وهم من كل حدب ينسلون.

لقد ذَكرتُ أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، ولقد كانوا يشغلون مناطق وسط آسيا ومنغوليا الحالية، وكذلك سيبريا، ومنطقة شمال القوقاز، وكان لايقر لهم قرار بل دائموا الترحال والتجول في هذه السهوب الواسعة.

ولقد كانت هذه القبائل بدوية محبة للقتال واشتهرت بغزو جيرانها من الأوربيين، والفرس، والصينيين وغيرهم، حتى أن هذه الأمم بنت الجدران والحصون، لترد بأس هذه القبائل المحاربة، وربما اتحدت هذه القبائل وكونت جيوشا جرارة، وكونت جحافل لاترحم مثلما حدث عندما اتحدت القبائل تحت اسم الهُن، أوعندما اتحدت تحت قيادة جنكيز خان.

ويقول بعض الدارسين أن الأمور تغيرت في بداية عصر النهضة الحديثة، فلقد تغيرت طبيعة الأسلحة المستخدمة، وكذلك طبيعة المعارك الحربية، فاخترعت الأسلحة النارية، وتطورت، وصارت صناعة هذه الأسلحة تعتمد على بنية تحتية لاتتوفر إلا في المجتمعات المستقرة، **لذلك حدث لأول مرة في التاريخ أن يتسلط جيران الترك والمغول عليهم، وأن يحتلوا أرضهم،** وهؤلاء الجيران كانوا هم الروس والصينيون، الذين طالما ذاقوا -هم أنفسهم- الويلات من الترك والمغول.

فلقد فتحت روسيا منطقة سيبريا الشاسعة كلها، ثم فتحت القوقاز، ثم انتهت بفتح وسط آسيا أو التركستان الغربي، بينما سيطر الصينيون على التركستان الشرقي، وعلى مناطق منغوليا الداخلية، حتى دولة منغوليا التي تزعم أنها دولة مستقلة، وتشغل الصحاري مساحتها، نجدها خضعت تماما للهيمنة الروسية.

ولم يكتف الغزاة من الروس والصينيين بالاحتلال العسكري بل عمدوا إلى تهجير الملايين من الروس والصينيين إلى البلاد المفتوحة، وهو احتلال إستيطاني، فنجد في هذه البقاع الآن ملايين الروس، والصينيين، يعيشون على بعد آلاف عديدة من الكيلومترات عن بلادهم الأم، والسؤال ألا يستحق هذا الاحتلال الإستيطاني لبلاد يأجوج ومأجوج بأن يسميه القرآن فتحا لهذه البلاد؟ بلى أرى أنه يستحق بكل تأكيد.

وهكذا يمكننا القول أن قوله تعالى: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ- حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ", يعني أن الله حرَّم على المُهلَكين من المملكة الشمالية –والمقصود هم ونسلهم- الرجوع إلى أرضهم ودولتهم إلى أن تَفتح بعض الشعوب بلاد يأجوج ومأجوج، وعند ذلك فإن هؤلاء الإسرائيليين سوف يعودون إلى أرض أجدادهم وهم من كل حدب ينسلون.

يقسِّم الدارسون هجرة اليهود إلى فلسطين إلى مرحلتين الأولى: هي فترة ما قبل الصهيونية، وتتميز هذه المرحلة بمميزات من أهمها قلة عدد المهاجرين، وطول المُدة بين كل هجرة والتي تليها، وأنها هجرات لم تكن منظمة من قبل دولة أو هيئة، والأهم أنها لم تكن هجرات بِنِيَّة إقامة دولة مستقلة لليهود في فلسطين.

بينما تتميز هجرات اليهود في المرحلة الصهيونية، بأن اليهود كانوا يهاجرون إلى فلسطين بأعداد ضخمة على فترات متقاربة، وكانت هناك منظمات ودول لها أيدلوجيات واضحة ترعى هذه الهجرات، وكانت النية الواضحة المعلنة لهذه الهيئات والدول وحتى المهاجرين هي إقامة دولة لليهود في أرض فلسطين.

ويقول الدارسون أن أول مجموعة صهيونية وطِئت أقدامها أرض فلسطين كانت مجموعة صغيرة، وأن هذا حدث في شهر يونيو عام 1882 ميلادية[242].

أما احتلال الروس والصينيين أراضي الترك والمغول، أو يأجوج ومأجوج، فلقد امتد لقرون طويلة، فلقد بدأ باحتلال سيبريا في القرن السادس عشر، وانتهى باحتلال الروس لتركستان الغربية، بعد معركة (جوك- تبي) في تركمانستان الحالية عام 1881 ميلادية[243].

وهكذا يتضح لنا أن أول مجموعة صهيونية وصلت إلى أرض فلسطين بعد **عام واحد من إتمام فتح بلاد يأجوج ومأجوج**، وهذا يؤكد صحة فهمي لآيتي الأنبياء، كما أنه تصديق للقرآن الكريم، يثبت أن القرآن من عند الله العليم الخبير.

وربما يثور سؤال لماذا يؤقت المولى عز وجل عودة اليهود إلى فلسطين بفتح أراضي يأجوج ومأجوج، صحيح أن فتح بلاد يأجوج ومأجوج كان أمرا عجيبا، غير أنه لاتوجد علاقة ظاهرة بين الأمرين ليُجعل أحدهما ميقاتا للآخر؟

والجواب أن الأمرين ليسا بعيدين كما يظن المرء لأول وهلة، بل هما مظهران يرجعان إلى نفس الأسباب، فلقد حدثت ثورة علمية تكنولوجية في أوربا بدأت منذ القرن الخامس عشر الميلادي واستمرت حتى الآن، ولقد أدى التقدم العلمي والصناعي إلى تحسن التغذية، وتحسن الرعاية الصحية، مما أدى إلى **زيادة كبيرة في عدد سكان أوربا**، ومن ضمنهم اليهود الأشكيناز الذين

---

242 - First Aliyah Wikipedia
http://en.wikipedia.org/wiki/First_Aliya

243- إن تحديدنا لأرض القوم الذين لايكادون يفقهون قولا بحوض سيستان يجعل أرض دولة تركمانستان هي أقرب أرض إليهم من أراضي الترك، وعلى هذا يكون احتلال الروس لتركمانستان، في المعنى الضيق، هو فتح أرض يأجوج ومأجوج الذين كانوا يغزون القوم المستضعفين.

كانوا يسكنون في أوربا الشرقية، فلقد حدث لديهم انفجار سكاني، حتى أن هؤلاء اليهود صاروا يمثلون 90% من يهود العالم.

ومع الثورة العلمية الصناعية فإن الدول الأوربية استطاعت تصنيع الأسلحة النارية، وصناعة السفن الكبيرة، وامتلاك جيوش لايمكن مقاومتها، واستطاعت الدول الأوربية فتح البلاد القريبة والبعيدة والهيمنة على أمم الأرض، وفي الوقت التي كانت إسبانيا والبرتغال، وانجلترا وفرنسا تتسابق في السيطرة على الأمريكتين، توسعت روسيا في المناطق المتاخمة لها مثل سيبريا الشاسعة والقوقاز، وفي الوقت الذي التفتت فيه انجلترا لاحتلال مصر ومنطقة الشرق الأوسط، فإن روسيا كانت قد ضمت إليها منطقة التركستان الغربي.

ونتيجة للانفجار السكاني في أوربا وفتحها لمناطق العالم المعروفة والمجهولة، فقد نشطت حركة هجرة استيطانية من أوربا إلى البلاد المفتوحة، فكان الأوربيون يهاجرون إلى الأمريكتين واستراليا وأفريقيا، وكان الروس يهاجرون إلى المناطق الفتوحة في آسيا، وأخذ اليهود يخرجون من بلادهم في أروبا الشرقية مهاجرين، فذهب قسم كبير منهم إلى أمريكا، وجاء قسم كبير منهم إلى فلسطين.

فكأن اليهود لم يعودوا إلى فلسطين إلا بعد أن كثرت أعدادهم، وقويت شوكتهم بالأمم الأوربية التي كانوا يعيشون بين ظهرانيهم، حتى استطاعت بعض هذه الأمم وهي أمة الروس، أن تفتح بلاد يأجوج ومأجوج المتوحشين، وربما يدعم هذا الرأي قوله تعالى عن قوة اليهود في آخر الزمان: "وأممدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا".

والآن فلنناقش الأحاديث النبوية التي فُهم منها أن يأجوج ومأجوج وراء السد حتى الآن:

لقد جاءت أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم فُهم منها أن يأجوج ومأجوج محبوسون الآن، وأنهم يخرجون من وراء السد قبل يوم القيامة فيعيثون في الأرض فسادا، ولقد ثبت باليقيني من العلم الحديث **خطأ** هذا الفهم فلا توجد أمة عظيمة يمنعها عن البشر سد عظيم، لذا وجب علينا إعادة دراسة تلك الروايات في ضوء هذه الحقيقة المعروفة.

أولا: حديث "ويل للعرب من شر قد اقترب":

روى البخاري في صحيحه: " استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه، يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث".

هذا الحديث أشكل على ابن كثير، ووجه الإشكال عنده أن القرآن يقول عن السد/الردم: "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا"، ويقول المولى: "فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء"، وفي قرآءة أخرى صحيحة "دكًا"، وظاهر الآيات أن الله سوف يجعل السد دكا ودكاء، وأن السد لن ينهدم على أيدي يأجوج ومأجوج أنفسهم.

وهذا ما جعل ابن كثير يعدل عن ظاهر الحديث ويقول: "من المحتمل أن يكون الحديث إشارة إلى فتح أبواب الفتن، **وأنه استعارة وضرب مثل".**

هذا ما قاله ابن كثير وهو من المفسرين الذين اعتمدوا على الرواية في التفسير، ولقد قال هذا الكلام منذ مئات السنين، فما بالنا لو اطلع ابن كثير نفسه على علم الجغرافيا الحديث، وتأكد أنه لاوجود لأمة ضخمة مسجونة خلف سد، لو فعل لجزم بأن حديث "ويل للعرب" ليس إلا "إستعارة وضرب مثل".

كما أننا نجد الإمام المناوي في كتابه فيض القدير يقول: "الشر الذي اقترب هو الفتن التي حدثت بينهم من قتل عثمان وخروج معاوية"، أي أن المناوي فهم أن فتح الكوة في سد يأجوج ومأجوج ليست إلا رمزا، وأن الفتح ليس على الحقيقة.

وقد ذهب بعض الباحثون المعاصرون للجمع بين ظاهر هذا الحديث وبين الحقائق العلمية، فقالوا إن السد كان قائما في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، غير أنه هُدم في القرن السابع الهجري، وخرج المغول من ورائه واجتاحوا العالم الإسلامي، وهذا الرأي **غير مقبول** فلقد كان المغول وأحلافهم من الترك يتحركون بحرية تامة ولم يكونوا محبوسين وراء سد، ولم يكن بينهم وبين العالم فاصل ينتظرون هدمه، وهو ما يؤكده ظاهر القرآن.

ثانيا: حديث "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد":

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه غدا ولا يستثني. فإذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان، فإذا أراد الله بخروجهم على الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه إن شاء الله - ويستثني - فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من السماء قسوة وعلوا، فيبعث الله عليهم نغفا في أعناقهم فيهلكون" وهذا الحديث كما نرى صريح في أن يأجوج ومأجوج محبوسين وراء السد وأنهم يحفرون كل يوم، حتى إذا جاء الوقت الذي قدره الله نقبوا السد وخرجوا على الناس.

والحديث رغم تصحيحه من قبل بعض العلماء، فقد قال بعض الباحثين المعاصرين أنه ضعيف لانقطاعه، فقتاده لم يأخذ عن أبي رافع ولم يلقه[244].

وهذا الحديث رُوي أيضا موقوفا عن أبي هريرة، كما أنه روي موقوفا عن كعب الأحبار، ويبدو أن الحديث من كلام كعب الأحبار، ثم أخذه عنه أبو هريرة، فرُوى عنه، ثم رُفع خطأ للنبي صلى الله عليه وسلم.

والمفاجأة أن ابن كثير شكَّ في صحة رفع الحديث للنبي فقال: "فإن لم يكن رفع الحديث محفوظا، وإنما هو مأخوذ من كلام كعب الأحبار كما قال بعضهم، فقد استرحنا من المؤونة"، كما أنه قال: "ولكن هذا قد رُوى عن كعب الأحبار، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيرا ما يجالسه، ويحدثه، فحدَّث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع, فرفعه، والله أعلم"[245].

ولقد اعتبر علماء الحديث مخالفة الحديث للواقع المشاهد علة قادحة في صحة الحديث، ليس هذا فقط بل إن نص الرواية مشابه لنصوص مسيحية خرافية وصلتنا، لذا فهذه الرواية أليق بأن تكون من كلام كعب الأحبار، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: أحاديث: "خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان"

وهي الأحاديث التي تتحدث عن خروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان وهي نقطة خارج نطاق بحثنا هذا، غير أن البعض قد فهم من كلمة (خروج) يأجوج ومأجوج أنهم محبوسون الآن، وهذا خطأ فادح، فهذه الكلمة تستعمل للدلالة على عدة معان منها خروج

---

244 - حاكم المطيري، أثر فيه نظر دراسة نقدية حديثية تفسيرية لحديث) إن يأجوج يحفرون السد(http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TlRRMUpsTjFZbEJoWjJVbU1RPT0rdQ==.jsp

245 - نفس المصدر السابق.

الأعداء من بلادهم وهجومهم على بلاد الإسلام، ومثال هذا ما يرويه نعيم ابن حماد عن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه الفتن: "لِلتُّرْكِ خَرْجَتَانِ، إِحْدَاهُمَا يُخَرِّبُونَ أَذَرْبِيجَانَ، وَالثَّانِيَةُ يَشْرَعُونَ مِنْهَا عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ"، وكما هو معروف لم يقل أحد أن الترك محبوسون.

ورغم هذا فإن هناك بعض الأحاديث النبوية تتحدث عن خروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان من وراء سدهم، وأرى أن هذه الأحاديث مروية بالمعنى على أقل تقدير، وأن متنها ليس نص ماقاله النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو يعكس فهم صاحبه للآيات القرآنية.

المبحث الرابع: مفهوم أن يأجوج ومأجوج هم الروس، أو الصينيون، أو اليهود الأشكيناز

في العصر الحديث حاول باحثون -غربيون وإسلاميون- تحديد من يكون يأجوج ومأجوج، فقال البعض بأنهم الاتحاد السوفيتي أو الروس، وقال بعضهم أنهم اليهود الأشكيناز، وذهب فريق إلى أنهم الصينيون، ورغم أن هذه الآراء بها بعض الوجاهة، إلا أننا سنبين في السطور التالية كيف أنها لاتصمد أمام النقد.

هل الروس هم يأجوج ومأجوج؟

هذه النظرية ظهرت في أثناء الحرب الباردة، وقت أن كان الاتحاد السوفيتي خصم عنيد للولايات المتحدة وأوربا الغربية، وتعتمد هذه النظرية على سفر حزقيال الإصحاح 38,39، وفيه نبوءة على لسان النبي حزقيال يفهم منها أن (جوج) -الذي هو شخص على الأرجح- يقود ماجوج -الذي هو شعبه على ما يبدو- ليهاجم الاسرائيليين على أرض فلسطين في آخرالزمان.

وصاحب هذه النظرية هو هال ليندسي Hal Lindsey, ولقد فهم نبوءة الكتاب المقدس المذكورة في سفر حزقيال الإصحاح 38,39 على أن المقصود بـ (جوج) هو رئيس الاتحاد السوفيتي، والمقصود بـ ماجوج هو دول الاتحاد السوفيتي، وعقب إنهيار الاتحاد السوفيتي تم تعديل النظرية ليصير (جوج) هو رئيس روسيا وماجوج هو شعب روسيا.

ولقد بنى ليندسي رأيه على أساس أن كلمة (روش)Rosh المذكورة في النص تعني روسيا، وأن كلمة (ميشيش) Mechech قُصِد بها (موسكو9 Moscow، وأن كلمة (تُبال) Tubal قصد منها (تبلاسك) Toblask .

ولكن ظهر حديثا دراسات لبعض الدارسين تدحض هذه النظرية فـ(روش) المذكورة في النص لاتعني سوى كلمة (الرئيس)، والمعنى هو أن جوج هو القائد الرئيس، وليس قائد روسيا، كما أن (ميشيش) Mechech هي أقرب لكلمة (مشكي) Moshi/Mushki, وهي تقع وسط غرب آسيا الصغرى، أما كلمة (تبال) Tubal فهي قريبة جدا من كلمة (تبالو) Tubalu/Tibareni في شرق آسيا الصغرى أيضا[246].

ويقول بعض الدارسين أن جغرافية العالم عند كتبة سفر حزقيال كانت أضعف من أن تعرف (موسكو)، و(تبلاسك)، ولقد كانت آسيا الصغرى بالنسبة إليهم هي أقصى شمال العالم.

لهذه الأسباب فإن نظرية روسيا قد انفض من حولها الناس، فإذا أضفنا إلى ذلك ماتوصلتُ إليه من أن يأجوج ومأجوج هم أسلاف الترك والمغول، وهم شعب مختلف بشكل تام عن الروس، الذين هم شعب أوربي زراعي بالأساس، لتأكدنا أن الروس ليسوا هم يأجوج ومأجوج.

---

[246] - http://www.contenderministries.org/prophecy/gogmagog.php

هل اليهود (الأشكيناز) هم يأجوج ومأجوج؟

ظهرت نظرية في تحديد يأجوج ومأجوج على يد فهد سالم في كتابه "يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج"[247]، وتخلص هذه النظرية إلى أن اليهود الذين اغتصبوا فلسطين في العصر الحديث، ومعظمهم من اليهود (الأشكيناز)، الذين جاؤوا من أوربا الشرقية هم أنفسهم يأجوج ومأجوج.

وقال فهد سالم في كتابه أن مملكة إسرائيل أوالمملكة الشمالية والتي نجمت عن انقسام بني اسرائيل إلى مملكتين بعد وفاة النبي سليمان عليه السلام، هذه المملكة دمرها الآشيوريون حوالي 720 قبل الميلاد، وقال فهد سالم أن مقاتلي هذه المملكة هم الألوف التي ذكرهم القرآن أنهم خرجوا من بيوتهم حذر الموت فأماتهم الله ثم أحياهم.

وأضاف فهد سالم أنهم بعد أن أحياهم الله توجهوا إلى شمال بلاد القوقاز حيث التحقوا بقبائل الخزر التركية الأصل، ولم يعلنوا عن أنفسهم، ولذا لاتذكر عنهم التوراة أوباقي كتب اليهود شيئا، وأُطلق عليهم القبائل العشرة المفقودة، وقال أن هؤلاء النفر من بني إسرائيل عاشوا مع هذه القبائل الخزرية أكثر من ألف عام، واختلطوا بهم، حتى أعلن الخزر تهودهم في القرن الثامن الميلادي.

وذهب فهد سالم أن قورش الأكبرهو ذو القرنين، وأنه أغلق ردمه على الأسباط العشرة المفقودة في القوقاز، غير أن الردم قد اندك، وانطلق اليهود من ورائه.

ويفرق فهد سالم في كتابه بين الردم والسد فهو يرى أن الردم هو الحاجز المادي الذي بناه ذو القرنين، وأنه قد اندك منذ زمن بعيد، أما **السد فهو الحاجز النفسي** الذي كان يمنع القبائل العشرة

---

247 - فهد سالم كشف تاريخي يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق الطبعة الأولى 1418 هـ شركة دار الإشعاع للطباعة والنشر- القاهرة

المفقودة، أو نسل سكان المملكة الشمالية من العودة إلى أرض فلسطين.

وذكر فهد سالم، أنه في العصر الحديث تبدد خوف اليهود وإحجامهم عن العودة، وبهذا **فتح السد المعنوي**، وهو يرى أن قوله: "حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج"، يعني فتح السد المعنوي وبدء هجرة اليهود إلى فلسطين، حيث أن اليهود الأشكيناز هم نسل الأسباط العشرة الضائعة، أو سكان المملكة الشمالية، مختلط مع أغلبية الترك الخزر، لذا فهم بني إسرائيل وفي نفس الوقت يأجوج ومأجوج.

وكما يتضح لنا أن هذه النظرية بها العديد من نقاط الضعف، من أهمها أن الذي يقرأ سفر حزقيال يقتنع تماما أن بني إسرائيل ليسوا يأجوج ومأجوج بل هم أعدائهم، وكذلك كل من يقرأ القرآن الكريم والأحاديث التي تحدثت عن يأجوج ومأجوج لايشك أنهما شعبين مختلفين.

بالإضافة إلى ذلك فالكاتب يعتمد على نظرية الأصل الخزري لليهود (الأشكيناز)، وهي نظرية قديمة، تم نقضها في السنين الأخيرة بعد أبحاث وراثية متطورة حول الحمض النووي.

وقد أثبتنا في بحثنا هذا أن ذا القرنين قد عاش منذ آلاف السنين، وقبل بني إسرائيل بمدد سحيقة، ولما كان ذو القرنين قد بنى السد بين يأجوج ومأجوج والقوم الذين طلبوا مساعدته، فمعنى ذلك أن يأجوج ومأجوج كانوا موجودين منذ آلاف السنين، وأنهم ليسوا هم اليهود أو بني إسرائيل.

هل الصينيون هم يأجوج ومأجوج؟

يرى البعض أن الصينيون هم يأجوج ومأجوج، فهم شعب كثيف العدد، يبلغ حوالي ربع سكان الأرض، ملامحهم غريبة، تشبه الملامح التي ذكرها الحديث في وصف يأجوج ومأجوج، كفَّار في غالبيتهم، ويشهدون صحوة اقتصادية هائلة.

ويقول أصحاب هذا الرأي أن الصينيون قد يغزون العالم بجيوشهم الجرارة، وبالتالي فربما يكونون هم يأجوج ومأجوج.

والحقيقة أن الصين، والصينيين كانوا معروفين زمن تنزيل القرآن، ولم تذكرهم الآيات أو الأحاديث، ولم تشر إلى أن الصينيين هم يأجوج ومأجوج، بالإضافة إلى ذلك فالصينيون شعب زراعي لم يشتهر بالغزو، أو الإغارة على جيرانه، بل إن الصينين أنفسهم كانوا ضحايا الغزو المستمر من جهة الترك والمغول، حتى أنهم **استخدموا نفس الحل الذي اخترعه ذو القرنين** لصد هجمات الترك والمغول المتوحشة، وهو بناء سد يردهم، فبنوا سور الصين العظيم، وبذلك يبعُد أن يكونوا هم أنفسهم يأجوج ومأجوج.

وهكذا فإنني في هذا الفصل استطعت –بفضل الله وحده- مناقشة عدة مفاهيم شائعة حول يأجوج ومأجوج في البيئة الإسلامية، من أهمها أن أعداد يأجوج ومأجوج تبلغ أضعاف البشر أضعافا كثيرة، وأوضحت أن الحديث الذي فُهم منه ذلك استخدم فيه النبي "يأجوج ومأجوج" كمجاز للدلالة على الأمم المشركة وهي كل أمم الأرض عدا العرب المسلمين.

ومن أهم المفاهيم التي ناقشتُها هو مفهوم ساد البيئة الإسلامية، وهو أن يأجوج ومأجوج مسجونون الآن في مكان ما من الأرض وراء سدهم، وأنهم يخرجون قبل يوم القيامة عندما يندك السد، وقلت أن آيات الكهف وآيات الأنبياء كما أنها تحتمل هذا المعنى الذي ذهب إليه جمهور العلماء، فإنها تحتمل معان أخرى، وحمل الآيات على بعض هذه المعاني أولى الآن بعد أن تأكدنا أنه لاوجود لأمتين ضخمتين محبوستين، أما حديث ويل للعرب فهو ضرب مثل، وأما حديث إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد فإنه على الأرجح من كلام كعب الأحبار، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

ونتيجة أن يأجوج ومأجوج من البشر، وأنهم ليسوا محبوسين الآن، وأن أعدادهم ليست أعدادا خرافية، **فإنه قد زالت أهم العوائق التي اعترضت طريق علمائنا في القول بأن يأجوج ومأجوج هم الترك والمغول.**

الفصل الرابع

يأجوج ومأجوج والردم في تراث الشعوب القديمة

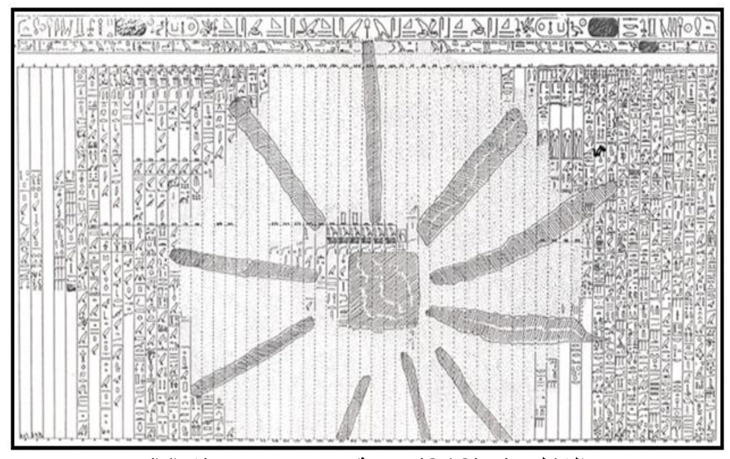
رغم مرور الآف السنين على حدوث قصة ذي القرنين فإنه قد بقيت في ذاكرة الشعوب القديمة بعضا من هذه القصة، ولقد دوَّنت الشعوب القديمة ما علق بذاكرتها من قصة ذي القرنين في عقائدها الدينية وأساطيرها الرئيسة، ووصلتنا بعض هذه النصوص.

وفي هذا الفصل سأحاول قرآءة بعض النصوص القديمة عند المصريين وغيرهم، وأحاول العثور على بقايا قصة المرحلة الثالثة من رحلة ذي القرنين، والتي وصل فيها إلى منطقة بين السدين والتقى القوم الذين لايكادون يفقهون قولا، ثم بنى السد الذي يفصل بينهم وبين يأجوج ومأجوج بناء على طلبهم.

وسنلاحظ في هذه العقائد الدينية والأساطير القديمة أن نفس الأبطال الذين وصفوا بأنهم وصلوا إلى مغرب الشمس، ومشرق الشمس، أو الذين قيل عنهم أنهم عذَّبوا قوما بإثارة البركان عليهم، هم الذين ذُكر أنهم يملكون جدارا أو بنوا سدا، أو وصلوا لمنطقة سهوب شمال القوقاز.

المبحث الأول: ذكريات القصة في ديانة المصريين القدماء وأساطيرهم:

في الباب الأول ذكرت أن حجر (شباكا) هو حجر صلب نقش عليه الفرعون (شباكا) نصا مقدسا لكهنة منف، وفي هذا النص المقدس وجدتُ ذكرا لرحلة قام بها (أُزَيْرِس) على خطا إله الشمس الباطل (رع)، واستنتجتُ أن (أُزَيْرِس) قد قام برحلة حول العالم، في نفس اتجاه رحلة الشمس، وأنه وصل إلى مغرب الشمس (أَمِنْت)، ومشرق الشمس (سخت عارو).



الشكل رقم (218) نسخة من نص حجر (شباكا).

وعودة إلى نص حجر شباكا فإننا نجد النص يخبرنا عن "حصن ملكي"، وهو ما يمكننا أن نفهم أنه جدار محصن، أو أنه سد ذي القرنين.

تقول الترجمة الحرفية للنص كما ترجمه علماء المصريات للسطر 64 وهو السطر الأخير: "...ودخل (أُزَيْرِس) المسارات

السرية...على خطا الذي يشرق في (الأَخِت)، على طرق رع، ...، **ووصل (أُزَيْرِس) إلى الأرض عند الحصن الملكي، إلى شمال هذه الأرض التي جاء إليها."**[248].

ولقد استفاد علماء المصريات من ظاهرة التكرار التي نجدها في النصوص القديمة واستطاعوا إعادة بناء الجزء الأوسط من نص حجر شباكا، والذي تعرض لتدمير شديد، ويرى علماء المصريات أنه إعادة لنفس المقطع السابق عن (أُزَيْرِس)، غير أنه بعد هذا المقطع نجد النص يقول في السطر23:**"هناك بُني الحصن الملكي"**[249].

ويمكننا إعادة قرآءة بعض العبارات كالآتي:

- الحصن الملكي = الجدارالحربي
- وصل (أُزَيْرِس) إلى الأرض عند الحصن الملكي إلى شمال الأرض التي وصل إليها = وصل إلى منطقة الجدار (أي المنطقة التي سيبنى بها الجدار، والتي تقع) في شمال الأرض التي وصل إليها.
- هناك بُني الحصن الملكي= هناك بَنى (أُزَيْرِس) الحصن الملكي.

أرى أن الأفعال في النصوص المصرية القديمة تُفهم بكثير من التخمين، وأرى أن السياق يوجب بناء الجملة الأخيرة للمعلوم، فالذي قام ببناء الحصن الملكي هو الذي وصل إلى منطقته، وهو (أُزَيْرِس).

وهكذا يمكننا القول أن حجر شباكا يخبرنا بعقيدة هامة للمصريين القدماء حول (أُزَيْرِس)، وهو **أن (أُزَيْرِس) قد سافر**

---

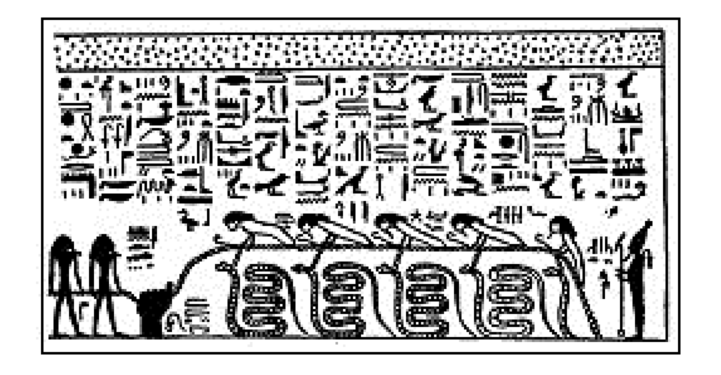
248 - http://www.reshafim.org.il/ad/egypt/texts/shabaka_stone.

249 - http://www.reshafim.org.il/ad/egypt/texts/shabaka_stone.htm

حول العالم على خطى الشمس، حتى وصل إلى أرض معينة، وهناك ذهب إلى منطقة تقع في شمال هذه الأرض، وبنى هناك جدارا حربيا. وفي هذا مما يشبه قصة ذي القرنين مع السد الكثير، فذو القرنين وصل إلى أرض ما بين السدين أثناء رحلته حول العالم على طريق الشمس كما استنتجنا، كما أن ذا القرنين بنى سده في شمال هذه المنطقة، فالممر الذي كان يأجوج ومأدجوج يدخلون منه إلى قوم حوض (سيستان) يقع في شمال أرضهم.

وفكرة "جدار (أُزَيْرِس) الحربي"، نجدها في موضع آخر من النصوص المصرية؛ ففي كتاب البوابات، وبالتحديد في القسم العاشر من أقسام العالم السفلي أو الدوات، نجد ذكرا لـ "سور محصَّن" Battlements خاص بـ (خنتي أَمِنْتي)، وهو أحد ألقاب (أُزَيْرِس)، وهذا مما يؤكد أن (أُزَيْرِس) هو الذي بنى الجدار المحصن، أو الحصن الملكي المذكور في حجر شباكا.

ومن الجدير بالذكر أن النص رغم عدم وضوح معناه، والذي كان نتيجة لسوء نقل أو فهم الكهنة، أو سوء فهمنا نحن، فإنه لازال يذكر **أبناء الضعف**، في علاقة مع السور المحصَّن، وهذا يشبه العلاقة بين القوم الذين لا يكادون يفقهون قولا، وسد ذي القرنين.



الشكل رقم (219) النص والرسوم المرافقة له ويتحدث عن سور أزيرس المحصن وأبناء الضعف.

وعلى حد علمي فلا يوجد في أساطير المصريين ولا العراقيين ولا اليونانيين ذكر لأي جدار مبني من حديد، لا يوجد هذا إلا في موضع وحيد في النصوص المصرية، ففي كتاب الموتى يقول الكاهن على لسان المتوفى: "إنني أعرف حقل عارو، الذي **جدارنه من الحديد،..."**

وربما يكون هذا الجدار الحديدي هو نفسه جدار (أُزَيْرِس) المحصن، وربما حدث خطأ أثناء انتقال الفكرة بين أجيال الكهنة المصريين، على مدار آلاف السنين.

ورغم أن موضع الجدران الحديدية لايتفق مع ما توصلتُ إليه، إلا أن وجود مثل هذه الفكرة وهي **"جدار من حديد"** عند المصريين يقوي ما ذهبت إليه حول ذي القرنين.

المبحث الثاني: السد عند قدماء العراقيين

ذكرت في الباب الأول كيف أن (نينورتا) المحارب، الذي وُصِف بأنه له قرنان، قد عاقب المتمردين على الآلهة الباطلة بطريقة فسرتُها على أنها كانت تفجيرا لبركان، وقلت أن هذا يشبه طريقة عقاب (أُزَيْرِس) للمتمردين على (رع) في مغرب الشمس في النصوص المصرية.

وفي نفس الملحمة الشهيرة الخاصة ببطولات (نينورتا) وهزيمته لوحش (الأساكو)، نجد حديثا عن بناء (نينورتا) لسد ضخم في شمال البلاد، يقول النص:

350 - ومادًا ذراعيه مثل سحابة سميكة تجتاح البلاد.

351 - أقفل **جبهة** البلاد بمثل جدار شامخ.

352 - وأقام **سدًا في آخر الأفق.**

وبرغم أن هذه الأسطر الثلاث جاءت في معرض الحديث عن بناء السدود لتنظم عملية الري، إلا أنني أرى أن هذه العبارات هي ما بقي في ذاكرة العراقيين عن بناء ذي القرنين لسده، فالسد